البردية المفقودة

البردية المفقودة

مجموعة قصصية

د. أمير بازيد

من إصدارات دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب: البردية المفقودة

اسم المؤلف: د. أمير بازيد

إخراج فني: ملتقى ابن النيل الأدبي

تصميم غلاف: ملتقي ابن النيل الأدبي

تصحيح وتدقيق: فاطمة فهمي

رقم الايداع : ٢٠٢٠/١٥٦٨٤

ترقيم دولي: 978-977-6791-88-6

حقوق الطباعة محفوظة للمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تجزئته في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال المعروفة حاليا أو التى ترد مستقبلاً دون إذن خطي مسبق

المراسلات: دار الحسيني للطباعة والنشر والتوزيع

المقطم الهضبة الوسطى الحي الرابع منزل رقم 5275 شارع عماد مصطفى

الإهداء

إلى زوجتى الغالية..

تمنيت لو أروى قصتنا....ولكن حروف لغتنا لم تخلق بعد....!!!!

كلمة الملتقى

القلم يبوح بأسرار كاتبه..

و الكلمة تحكي قصصاً و أساطيراً.

و مع د. أمير بازيد نبحر في رحلة تبدأ منذ عصور قديمة ، رحلة الخلق و البشر.

فداخل كل منا بردية مفقودة يبحث عنها طوال حياته ، يفتش عن الرضا بحاله و يأمل في رضا الخالق.

نعيش مع كاتبنا مجموعة من القصص القصيرة تتنقل بين الحلم و الحقيقة.

نغوص في بحر من العشق الرائع في قصة (أحلام).

و نضحك من القلب في كوميديا عامية (عزيزة) بلغة بسيطة سهلة.

في رحلة البحث نقابل الخير و الشر و أحياناً تتسبب قسوة البشر في إضرام نيران الجريمة كما نجدها في (نواعم).

و نترك الكتاب بين يدي القارئ يبحث بنفسه عن برديته المفقودة.

مع تمنياتنا بالتوفيق دائماً لكاتب هذه المجموعة القصصية المميزة.

ملتقى ابن النيل الادبي

البردية المفقودة

أيها الإله الأعظم

المتربع على عرش القوة و الجبروت

مالك الشمس و القمر

يا من تجري الأنهار و البحار تحت قدميه

قاهر كل الملوك و الفراعين

يا من تسير الرياح و الهواء

و تسير بأمره دواب الأرض

أنت الكبير و الكل صغار

حتى فرعون يصير ضئيلاً فى حضرتك

يا من ترسل المطر برحمتك

و ترسل الطوفان بغضبك

لك بُنيت المعابد

و أقيمت الهياكل

لكن الناس ضلوا

و ذبحوا القرابين لغيرك

و سجدوا لفرعون

فأنزلت عليهم نقمتك

و أحللت عليهم سخطك

فقتل الأخ أخاه

و تبرأ الابن من والده وتركه ليهلك فى الصحراء

و تعرت النساء و لم تسترها الرجال

و ساد الفقر و الجفاف

و ماتت الزروع و الدواب

أرسلت إلينا الأبرار ليهدونا إليك

فضل الكثير عن وجودك

و آمن القليل بعظمتك

فارحم قليلك الضعفاء

و امنحهم قوتك و بركتك

مد إليهم يديك

و ارفعهم عندك

حتى يأتي آخر الزمان

و يعرف كل فرعون طغى فى أرضك... كيف ظلم

و يعرف كل مدنس لماء النيل..... أي جرم إرتكب

إلهي .. و إله كل الفراعين و الفقراء

ارحمنا من عذابك

و اجعل أرضنا خضراء و ماءنا وافر

أرسل علينا النوم و الأمان

و اجعلنا من عبادك المقربين

..آمين

التلة

سعيداً ..هرولت وسط ذؤابات النباتات اليابسة

متحمساً لتصدير السعادات .. لأشباح تلك التلة السوداء

إنهم يقتاتون كسرات الخبز العفن

و يشربون الماء المر منذ عقود

يضحكون لحظة .. و أياماً ينتحبون

بيدي أحمل الماء و الخبز و الورود..

و المستقبل ....

الدرب شاق و طويل..

واصلت بإصرار و شجاعة ..

شارفت على الوصول ..

خارت قواي .. و ذبلت الورود .. و جف الخبز

أمسى المستقبل شيئاً من أشلاء الماضى

استنزفنى الطريق

إغتال صبرى و حماستى

و عندما وصلت إليهم كانوا يضحكون..

انضممت إليهم أعايشهم أيام تعاستهم..

أنتظر و ينتظرون..ضحكتهم من جديد...

عندما يبصرون ذلك القادم من بعيد يحمل لهم..

الورود و المستقبل و الخبز..

و عندما يصل إليهم..

....منه يسخرون

...و لحظة يضحكون

منصورة

إرتدت منصورة ثوبها الأبيض الفضفاض ... و برز بطنها الكبير من ثنايا قماشه الممزق المتسخ.. و الذي بات و كأن الدنيا بأسرها قد تآمرت عليه لتنهش من كرامته و كرامتها .. حتي أنها لتبدو للرائي كأنها أشلاء جثة تتحرك..

مرت منصورة أمام ناظري المعلم أسطورة_ (كما يحلو للناس مناداته) _ و رمقته بنظرة خبيثه و نصف ضحكة لاتخلو من وضاعة و شماتة لم تدم إلا لحظات.. لتدير له ظهرها..و الذي لم يكن أحسن حظاً من بطنها المترهل...

لقد إبتسم لها الحظ اليوم في غفلة من المنطق...و وهبها فوزاً زائفاً و انتصاراً غير مستحق ولا مأمول على زوجها السابق و الذي طالما أذاقها الأمرين و جثم على صدرها في أغلب مواجهاتهما معاً .. حتى أصبحت منصورة تملك من العقد و الرهابات النفسية ما يكفي لانشغال أطباء العالم لقرن كامل أو يزيد.. بل و أصبح جلباب المعلم الأحمر القاني يبعث القشعريرة في أوصالها .. و يصيبها بنوبات من التشنج و الرجفان...

اليوم و بعد أن حكمت لها الدنيا بنصر صغير في منازلة غير محسوبة...نراها تتبختر في مشيتها و تبرز مفاتنها القبيحة لعشاقها... و الذين أسكرتهم رائحتها النتنة فأدمنوا الخنوع و الإختباء... و تراهم لا يخرجون من جحورهم إلا عندما تغفل الأمجاد عن أصحابها لتهب من لا يستحق جزءاً من حلاوتها لتبقيه علي قيد الحياة...

كل ذلك و أنصار المعلم أسطورة يتابعون انتصارها الضئيل بشيء من الحسرة لأنهم تركوا تلك الآفة تتوهم أنها عبرت من وحل الهزائم إلى منتجعات النصر و الكبرياء...

تلك الحسرة التي لا تلبث أن تزول عندما يتذكرون ما يحدث عادة عند كل انتصار لها.. إنها لا تفتأ تذهب بعيداً.. حتى تعود و قد تلطخ فستانها و تمزق من جديد و تكالبت عليه كلاب الارض و سباعها كعادتها دائما..

و تعود منصورة إلى كهفها الرطب العفن لتقبع فيه و تمني نفسها بغفوة جديدة لتقتات على ما تسلل من بين أنياب الأسود... و لترقص رقصتها الدميمة..

قبل أن تموت من جديد...

نواعم

أسرع الدكتور ممدوح بارتداء بذلته السوداء الأوربية الطراز...و خرج مسرعا ليلبي نداء تلك الطرقات الغليظة... و التي إشتهر بها الصول جوده.. و كانت– بدون أدنى مبالغة – كفيله بايقاظ كل كلاب تلك القرية النائية و التى تقبع منذ الأزل فى أقصى شمال محافظة المنيا..... لتلبي هى الأخرى نداء طرقاته بنباحها ... و الذى يكاد لايخلو من ريبة و توجس لقدوم ذلك العملاق... ليقض مضجعها فى هذه الليلة الحالكة..

أسرع الدكتور ممدوح و دلف إلى داخل السيارة المتهالكة بجوار الصول جوده..... و اشعل لفافة من التبغ الأمريكى الذى يعشقه و هو يسأل رفيقه عما حدث؟؟؟..... و لماذا يريد سيادة المأمور لقاءه فى هذه الساعة المتأخره...؟ ...لابد أن خطباً جليلاً قد نزل!!!!

لكن قصر المسافة بين منزل الدكتور ممدوح و مكتب المأمور لم يمكن الصول جوده من الرد على أسئلة الطبيب الشرعى الشاب.... لذا أكتفى بإجابة مقتضبة.. لاتناسب شغف دكتور ممدوح بمعرفة سر استدعائه... و إيقاظه بتلك الطريقة المرعبة و التى لم يعتد عليها بعد ...رغم مرور عدة أشهر على عمله فى هذه البقعة البكر ....و التى نسيتها المدنية ووطئها الجهل و الفقر و المرض منذ عقود الماضى السحيق...

–نواعم اتقتلت يا باشا!!!!!...

أثارت كلمات الصول جوده القشعريره و الفضول فى نفس ممدوح..

إنه يذكر نواعم جيدا..... و يذكر ذلك اليوم عندما دخلت نقطة الشرطه لتقدم بلاغاً فى زوجها السابق عطيه..... حيث كان دائم التعرض لها بالضرب و السب طوال الأربعة أشهر الأخيرة منذ أن خلعته...بينما كانت تبيع بعض الخضروات البسيطة أمام ساحة منزلها

لتؤمن قوت يومها... كعادتها كل يوم.. أو لم تكفه الثلاث سنوات التى قضتها فى عصمته و ما نالت منه إلا ظلماً و فقراً و إهانة؟؟؟ ...

تذكرها ....و قد ارتدت جلباباً من الستان الأخضر قد انسحب عن معظم صدرها و ساقيها.... و زادته معركتها مع عطية إنحساراً... ليكشف عن تفاصيل جسمها البض الناصع البياض ...وما زادته حمرة الضربات إلا حسناً و جمالاً...و تذكر شعرها الفاحم السواد..... و قد تخلى عنه غطاء رأسها الازرق بلون مياه النيل وقت الفيضان..... وقد تناثرت خصلاته على كتفيها تداعبها نسمات الهواء البارد.... و هى تجرى مسرعة و عينيها العسليتين الواسعتين و قد ملأتهما الدمعات لتذيب كحل جفنيها... و ترسم خطوطا سمراء تتخللها تلك الحمرة العذراء فى خديها و التي حباها الله بها و أفاض فى هبته..

و الغريب فى الامر أن عطية كان يفلت دوما من العقاب لسبب غير معلوم أو ربما كانت صلته بالمأمور شفيعةً له على الدوام..

و لم تسعفها أبدا شكواها أو استغاثتها بشيخ الجامع.. سلامة.. ليكف عنها الاذى ... ربما لقلة هيبته و ضعف حيلته... و تخبط أفكاره..بل إتهمه البعض و مازال... بطمعه فى وصالها هو الاخر..و إن لم يقم على ذلك _ حتى الآن –دليل...

أشار العقيد طلعت للدكتور ممدوح بالجلوس و هو يضع أمامه صورة للقتيلة و قد إختفت ملامح وجهها ...الذى كسته زرقة داكنه.... ما إن رآها ممدوح حتى أدرك أن القاتل كان يحمل لها ضغينه شديدة ...مكنته أن يطبق على عنقها حتى الموت...

تواردت الخواطر و التساؤلات فى عقل ممدوح.... من ذا الذى يملك كل تلك القسوه و التي سولت له ليقضي على كل ذلك الجمال بهذه البشاعه و الإجرام ؟؟؟؟..

أخرجه المأمور من تساؤلاته لينبهه أن خبراء المعمل الجنائي جاهزون لاصطحابه لمسرح الجريمه.... متمنياً له التوفيق فى مهمته ....و التي يعتقد أنها ستكون يسيره و أنه يكاد يجزم من الآن بمعرفة القاتل...

ابتسم له ممدوح و هو يودعه و يمنى نفسه بسهولة القضية كما يتوقعها المأمور و إن كانت هواجسه تهمس له بغير ذلك....

وصل ممدوح يصاحبه ضابط المباحث الشاب فريد إلى بيت نواعم القابع فى أقصى الركن الشرقى من القرية...لقد كان بيتا ريفيا بسيطا كمعظم بيوت تلك القرية الفقيرة.... و إن كان يتفوق على أغلبها بساطة و تواضعا ..

شرع فريد يتفحص مسرح الجريمه.... و هو يؤكد أنه لا توجد آثار اقتحام للمنزل... مما دله على أن القتيلة كانت تعرف القاتل جيداً..... و أنها أغلب الظن استقبلته فى بيتها بمحض إرادتها... و فتحت له بابها... أو ربما كان القاتل يحمل مفتاحاً خاصاً به... و كلا الفرضين يؤكدان صلتها به.. و خاصة أن الجريمة ربما حدثت بعد منتصف ليلة الأمس ..قالها فريد و هو يبتسم ابتسامه لاتخلو من إيحاء يبين أن القاتل على علاقه غير مشروعة بالقتيلة وهو يشير إلى رداء النوم الأسود القصير و الذى ترتديه نواعم أثناء مقتلها..

أيده ممدوح و هو يشير إلى نتوء بسيط ببطن نواعم لا يلاحظه إلا طبيب شرعى متمرس.... و شرع يؤكد شكوكه باحتمال أن تكون القتيلة حاملاً فى شهورها الأولى بعدما أخرج عدة أنابيب من حقيبته ليجرى بعض الاختبارات على جسد نواعم.... لكن ما أثار حيرته أنه وجد دلائل إعتداء جنسى عنيف حديث سبق الوفاة مباشرة ...فلماذا لجأ القاتل لذلك... بينما هما على صله قويه ومنتظمة و تبدو مستعدة للقائه و تلبيه رغباته ؟؟؟؟...و كيف لم ينتشر خبر علاقة نواعم بذلك الشخص فى هذه القرية الصغيرة و التي لا يكاد يخفى فيها سرا ؟؟؟

مرت بضع ساعات.. أمضاها الدكتور ممدوح و الضابط فريد يتفحصان جسد نواعم و مسكنها..... و استقرا على أنها كانت تعرف القاتل جيداً .....و أنه دخل بيتها بمحض إرادتها..... بل لعلها كانت فى انتظاره بعد منتصف الليل.... و كانت بينهما علاقه جسدية متكررة أسفرت عن حملها سفاحاً..... ولظروف ما تلك الليله لم تلبِ نواعم رغبة عشيقها فاعتدى عليها بوحشية .....و ربما حاولت الصراخ فلم يجد بداً إلا أن يطبق على عنقها النحيل بيديه القويتين حتى لفظت أنفاسها...

تنهد الضابط فريد لشعوره بأنهما أنجزا تقريراً دقيقاً فى وقت قصير.. و ما عليه إلا أن يحدد المشتبه بهم و لن يكون هذا بالأمر العسير .. فنواعم ليس لها من يعاديها سوى فتحية تلك العجوز الثرية والتى تزوجها عطية بعد انفصاله عن نواعم.. و لكنه يظنها خارج نطاق الشبهات ...نظراً لطبيعة الجريمة... و كذا لضعف جسدها بالمقارنة مع نواعم.... فليس من المقبول منطقياً أن تتمكن من الإطباق على عنقها بكل تلك الضراوة .....و إن كان

يعتقد أنها ربما ساهمت سلفا فى التحريض على إيذائها ... و باستبعاد فتحية فلن تحوم الشبهات الآن حول أحد سوى عطية طليق القتيلة ...خاصة و أنه دائم الشجار معها لرفضها العودة إلى عصمته رغم محاولاته المتكرة...يالها من قضيه يسيرة كما توقعها المأمور منذ البداية..

نظر ممدوح في ساعته و هو يشير إلى تأخر قدوم الصول جوده... ألا يكفيه أنه إعتذر عن البقاء معهما كما يقتضيه الواجب... متعللاً بمرض ابنه.. و أنه لابد أن يذهب به إلى الطبيب واعدًا إياهم بالعودة بعد وقت قصير..

وما هى إلا دقائق... حتى لاحت سيارة الشرطة المتهالكة يقودها الصول جوده و يملأ الدنيا ضجيجا ببوقها المزعج ليعلن عن وصوله و ربما اعتذاره عن التأخير...

نظر إليه الظابط فريد بغضب ...و قبل أن ينهال عليه بالتوبيخ.. أمسك دكتور ممدوح بذراع فريد و هو يقوده الى داخل السيارة ويداعبه قائلاً له و مذكراً إياه بأنه مدين له بعشاء فاخر حيث أنه دعاه للعشاء فى القضية السابقة..قبل فريد دعابة ممدوح بصدر رحب مبديا إستعداده لدعوته إلى العشاء فى مطعم الأمانه الشهير القابع على كورنيش المنيا رغم أنه لا يذكر تلك الدعوة المزعومة و التي يدعيها ممدوح....

نظر إليهما الصول جوده بنهم.... و طلب منهما و هو يبتسم ألا ينسيا نصيبه من الطعام... خاصة و أنه هو من اكتشف مقتل نواعم أثناء مروره اليومي على بيوت القرية كعادته.... ليطمئن على أحوال أهل هذه القرية الطيبة.... و التي لم يرض الله لهم أن تظل تلك العاهرة

بينهم ....لتلوث سمعة نسائها و تقضي على شرف رجالها ....وارسل القدر من يخلصهم منها ومن سفاحها...

لم يبد ممدوح و فريد اعتراضاً على كلام الصول جوده و طلبا منه أن يسرع قليلاً حتى يدركا المأمور قبل انصرافه ليقدما له تقريرهما و ينالا قسطا من الراحه قبل الاحتفال بالانتصار فى المساء....

دخل ممدوح و فريد إلى مكتب المأمور و وضعا أمامه ما توصلا إليه من دلائل .... فأثنى عليهما و شكرهما ثم إتجه العقيد طلعت إلى الضابط فريد و ربت على كتفه و هو يحثه على الاسراع فى القبض على الجاني..

وقبل أن ينبس فريد بكلمة فاجأهما ممدوح قائلا بانه لاداعى أن يبحثا عن القاتل فقد أحضراه معهما...

إتسعت حدقتا المأمور مندهشا و نظر فريد إلى ممدوح مبتسما و اتجه إلى مكتب المأمور... و ضغط على جرس الاستدعاء و ماهى إلا ثوان و انهالت تلك الطرقات الثقيله أعقبها إنفراج باب المكتب عن الصول جوده و هو يضرب الأرض بقدمه يكاد يخرقها و هو يقول بكل قوة : تمام يا افندم

نظر إليه المامور و هو لايعرف بما يرد عليه ...فهو لم يستدعه من الاساس...و دام الصمت لحظات..قطعه الضابط فريد و هو يقول:...

-أعرف سيادتك بالصول جوده.....القاتل

شحب وجه الصول جوده..و لم يكن وجه العقيد طلعت أقل منه شحوبا...و استرسل الضابط ممدوح في شرح كيفية معرفة القاتل...

فالصول جوده كان يعرف بحمل نواعم سفاحاً رغم أنها مازالت فى شهرها الأول و لم يدركه الدكتور ممدوح إلا بفحص دقيق فلابد أنها أخبرته بحملها منه و طالبته بالتستر على فعلته و منعت نفسها عنه فلم يجد بداً من الاعتداء عليها ثم قتلها عندما حاولت المقاومه و ربما هددته بفضح علاقته بها و تشويه سمعته...إنه يملك الدافع و القوة لقتل المسكينة..

سكت فريد ليتسلم ممدوح زمام الكلام و هو يخرج زراً نحاسياً من حقيبته و أشار إلى موضع الزر المفقود فى بدله الصول جودة الميري ..موضحا أنه وجده فى يد القتيلة و أثار حيرته قليلا و لكنه ما لبث أن تكشفت له الامور بعد حديث جوده لهما فى السيارة...

إنهار الصول جوده ليسقط بجسده الضخم على الكرسي القابع بجواره و هو ينظر إلى العقيد طلعت و يقول:

إلحقنى يا طلعت باشا...أنا طول عمرى خدامك

بادره العقيد طلعت و هو يأمر الضباط باقتياد الصول جوده إلى الحجز المشدد ليعرض على النيابه فى الصباح.. و اقترب منه و أخبره أنه سيقف بجواره حتى تثبت براءته إن كان بريئا و لكن الأهم ألا يتحدث إلى أحد حتى ينتدب له محاميا ليكون بجواره في التحقيقات...فأومأ جوده برأسه مؤمناً على كلام قائده و خرج في صحبة الضباط و هو يهمهم بكلام غير مفهوم..

و في الصباح الباكر أمر العقيد طلعت باقتياد جوده الى النيابة لكن ماهى إلا لحظات و حدث هرج و مرج فى أنحاء القسم

--الصول جوده انتحر يا باشا...شنق نفسه في الحجز

هرع ممدوح و فريد بصحبه العقيد طلعت الذى بادرهما بالقول أن القاتل نال جزاءه العادل...و انصرف سائلاً إياهما باستكمال ملف القضيه تمهيداً لغلقها نهائيا.....

نظر فريد لممدوح و هو يأسف لما آل إليه مصير الصول جوده فلم ير منه يوما إلا الإخلاص و التفانى في عمله و إطاعة رؤسائه...و لكنه نال ما يستحق و لا يظلم ربك احدا.....

أومأ ممدوح براسه مؤكدًا على كلام فريد

و لكنه همس فى أذنه:

هل تظن أن جوده انتحر فعلا و هل هو القاتل الوحيد فى هذه القضيه؟؟؟؟؟

ابتسم فريد قائلا:

-لا أعتقد ذلك...و لكنى أيضا لا اعتقد أننا قادرون على إدانة المجرم الأصلى... و إن كنت أعتقد أن الكل له دور فى مقتل نواعم..و ربما كان عجائز هذه القرية هم أكثرهم جرماً... حينما تركوها فريسة سهلة لماضيها و حاضرها... و آثروا الصمت و المشاهدة من بعيد.. بين متعاطف معها.. و متهم لها ...و شامت فيها...

جاوبه ممدوح:

ربما لا .....و لكن دعنا نبدأ ثانية

..فلابد لشمس النهار مهما توارت أن تعاود الشروق دائماً ....

اليوم إنتصرت لها

–

يا إبراهيم.....

.

تردد ذلك الصوت الحنون للمرة الثالثة في تلك الليلة المتشحة بالظلام الدامس.. و البرد القارص.. ليقض مضجعى من جديد....

فى الحقيقة.. أنا لم أذق في تلك الليلة للنوم طعماً.. ليس بسبب ذلك الصوت الضعيف.. الذى تسلل عدة مرات من بين زجاج نافذة الحجرة المكسور.. لينشر تلك القشعريرة الباردة فى أوصالى.. و التى لم تفلح معها أغطية جدتى العجوز .. بل ربما لأننى لم أنم فى فراشي هذا.. منذ ثلاثين سنة قضيتها فى لندن ..و يبدو أني إخترت الليلة الخاطئة لزيارة منزل طفولتي القديم... و لكن كلها سويعات يسيرة و ينبثق النهار.. و يتلاشى البرد و الصوت.. و أنعم بالدفء و الطمأنينة.. مع أني كنت رغم رهبتى من النداء– و التي لا أعرف لها سبباً –أصبحت أنتظره بل و أفتقده إذا تأخر و لا أعرف لذلك أيضا سببا.

يا إبراهيييييييييييم

.....

تبسمت هذه المرة.. بل أحسست بنشوة غريبة و إطمئنان عجيب.. و شعرت بتواصل قوي مع الصوت.. و صرت أسمعه يتردد داخلي.. و يسري فى أوصالي.

قفزت من الفراش.. و حملت مصباح الكيروسين.. فلم تدخل الكهرباء بعد إلى قريتنا.. و فتحت النافذة لأرى صاحبة الصوت .

تلفت يميناً و يساراً ..لم أبصر أحداً ..لفحتنى نسمة شديدة البرودة.. أطفأت المصباح.. أحسست بأنفاس دافئة تداعب خدى الأيمن.. سقط المصباح من يدي.. فأسرعت إلى داخل الغرفه مغلقا النافذة بإحكام.. وإنزويت الى أحد أركان الحجرة الضيقة يتملكنى هلع شديد.. أنفاسى متلاحقة .. أسرعت أبحث عن قداحتي ... أشعلت المصباح و أشعلت سيجارتي و أخذت ألتهمها من شدة التوتر .. راودنى شعور بأن أهرع إلى حجرة جدتي و أحتمي بأحضانها كما يفعل الصغار و لكني تراجعت ..أيعقل بعد أن قضيت ثلاثين عاماً في المختبرات و المعامل في إنجلترا و أمريكا .. و تعاملت مع الحقائق و النظريات و شاهدت التحام الذرات و إنقسامها.. أيعقل أن أستسلم لتلك الأوهام و أجعلها تتسرب إلى داخلي و تسيطر على مشاعري إلى هذه الدرجة (*هههههههههههه*) تعالت ضحكتي لتشق سكون الليل و سخرت من نفسي ... لكني على الأقل أملك الآن قصة رائعة أقصها على زملائي فى الجامعة و نحن نحتسى شاي الخامسة.. لنضحك سوياً و تكف الدكتورة عايدة خطيبتى ..عن إتهامى بالكآبة و الانطواء ....

يا إبراهيييييييييييم..

.....

أسرعت إلى النافذة و فتحتها بقوه و تساقط الزجاج المكسور على يدى مخلفا جرحا طفيفا فى يدى اليمنى لم ألتفت إليه كثيرا ..و لم أحمل المصباح هذه المرة.. معتمدا على بوادر ضوء الفجر الذى تسلل على استحياء ..أخرجت رأسى من النافذه لأرى هذا اللاشئ .. و أقتل أخر تخيلاتي فى تلك الليلة الغريبة و الأخيرة فى تلك القرية التى نسيتها الأيام كما كدت أنساها... و لا أدري ما الذى دفعني إلى زيارتها بعد كل هذه السنين .. و كما توقعت

لم أر أحداً و أدرت ظهري للنافذة و أشعلت سيجارتي الثانيه و تنفست بعمق أول أنفاسها ....

(انت مش هتبطل سجاير... ..حرام عليك صحتك)

فلتذهب الذرات و الجزيئات الى الجحيم ...أنا على يقين هذه المرة من الكلمات و من الصوت بل أقسم بالله أني كدت أميز صاحبته لولا الرهبة و الخوف...

طرقات خفيفة على الباب يقاطعها صوت أنفاس أرهقها العمر و الربو مصحوبة بدعوة جدتي لى للإستيقاظ و صلاه الفجر و الإستعداد لتناول الفطور باكراً حتى لا نتأخر عن موعدنا.

كان نداء جدتي لى بمثابة طوق نجاه إنتشلني من هلاوس تلك الليلة العجيبة.. و معلنا" عودتي الى أرض الواقع.. ياله من حلم غريب و ليلة غامضة..

تكرر نداء جدتي ..فقاطعته و أنا اخرج من الحمام بعد أن توضأت لصلاة الفجر...هى القبلة فين يا جدتي ؟؟؟؟؟؟؟

باغتتنى الجدة بضحكة قوية لا تتناسب مع عمرها القديم مصحوبة بسعال و إحمرار داكن بالوجه حتى أني خشيت حقا أن تزهق روحها قبل أن تتم ضحكتها و التى خيل إلي أنها حبستها بصدرها ثلاثين عاما و لم تطلقها إلا الآن..

(ما تضحكيني معاكي يا ستو)....بادرتها قائلا و أنا ابتسم بعد أن أنهت ضحكتها و اطمأننت أنها لن تموت بين يدي الآن..

فأمسكتني بإحدى يديها و تناولت عكازها المتهالك باليد الأخرى و ذهبنا إلى الحجرة التي قضيت ليلتي بها و أشارت إلى حائط أكلته الرطوبة و سقط عنه طلاؤه الجيري الأخضر إلا

عن موضع فى منتصفه تستقر عليه علامة بالطبشور الأحمر لم تجرؤ أيادي الأعوام على إزالته.... أو أنها ربما لم ترغب بذلك...

(هى دى قبلتك..... يا إبراهيم).....نزلت كلماتها على كالصاعقة و أقسم بالله أن الارض زلزلت تحت قدمى أو هكذا تصورت..

قبلتي ....إبراهيم ....يعنى إيه قبلتي ؟؟؟؟ هو كل واحد ليه قبلة لوحده ؟؟؟ ..و مين إبراهيم ده؟؟؟؟؟؟ سلامتك يا ستو أنا أحمد... حفيدك ...إبن بنتك فاطمة الله يرحمها اللي ماتت من تلاتين سنه زي .....النهاردة..)

و رغم شغفى الشديد لمعرفة الإجابة على أسئلتي ... وجدتني أبحث عن تلك التساؤلات التي قفزت داخلي فجأة لماذا حضرت اليوم إلى القرية فى ذكرى يوم وفاه أمى (الثلاثون)؟؟ أهى الصدفة؟؟!.. و ما سر ذلك الشعور الجارف الذى تملكنى منذ أيام و أنا بإنجلترا و جعلني أترك أبحاثي و التى شارفت على الإنتهاء و لم أطق صبرا و وجدتني أستقل الطائرة بأسرع ما إستطعت؟؟؟

تسارعت الإحتمالات و الفروض فى رأسي ولم ينقذني منها سوى صوت جدتي وهى تخبرني قصة الطبشور الأحمر و كيف أن والدتي –رحمها الله –عندما كانت تلمس حيرتي فى معرفة القبلة و حزني الشديد عندما يدخل أبى و يراني أصلي ويخبرني أن صلاتي باطلة لأني لا أتجه للقبلة الصحيحة و لا يتكبد عناء إخبارى بالوجهة الصحيحة... و عندما أذهب للشيخ فى الكتاب و أخبره بالقصه يعنفني بشده ويضربني أحيانا (إنت بتصلي للشيطان يا كافر .. إنت لو فيك خير كنت عرفت القبله لوحدك) و يتعالى صوت ضحكات أقراني بالكتاب و ما أنقذني من هذا الوبال المتكرر سوى أحضان أمي التى لطالما أغرقتها بنحيبي و دموعى و

ذلك الطبشور الأحمر الذى إشترته أمي خصيصاً من البندر و رسمت على الحائط علامة تشير لموضع القبله و قالت لى بصوت حنون.....و قبل أن تتم جدتي حكايتها سمعت ذلك الصوت الذى عايشته طوال الليلة الماضية يتردد داخلي بكل وضوح (هى دى قبلتك يا إبراهيم) و لكنه هذه المره لم يأت من النافذه بل انبعث من ذكرياتى البعيده عندما كانت أمى تنادينى إبراهيم لأنها – كما قالت لي عندما سألتها عن سر هذا الاسم – رأت فى منامها أنها سترزق بمولود وحيد و أن تسميه إبراهيم و لكن أبى أصر أن يسمينى أحمد تيمنا بإسم والده و كان ينهر أمي بشدة عندما تناديني بغير ذلك فكان هذا الإسم سراً بيني وبينها لا يعرفه أحد و لا حتى جدتي... حتى لا ينالها غضب والدي و لم تعرفه إلا و والدتي على فراش الموت بعد يومين من سفري لإنجلترا لاستكمال دراستي كما أصر والدي رغم إنفصاله عنها و زواجه من أخرى و كأنه يبخل عليها بأي سعاده في هذه الدنيا...

ظلت أمي طوال هذين اليومين تناديني .....(يا إبراهيم....يا إبراهيم...إبراهيم روحي وأنا روحي راحت خلاص)

لم أتمالك نفسي و رحت فى بكاء شديد و تمنيت لو أضحى بكل ما ملكت فى هذه الدنيا أو ما قد أملكه فى المستقبل و أن تذهب نجاحاتي و أبحاثي و أموالي ...بل ينقضي عمري كله و أحظى بقبلة على يد أمي و أن أرتمي تحت قدميها و أطلب رضاها و أرتمي فى أحضانها و أن تزهق روحي و أنا بين ذراعيها.... فالآن لا أريد شيئا من نعيم الحياة إلا أن أراها و أحس بنبض قلبها و دفء أنفاسها على وجهي و لتكن أخر لحظاتي فى الحياة و أنا في حماها...

(يلا يا ابنى هنتأخر الشمس طلعت.. و أمك مستنياك.)...بادرتني جدتي و هي تمسك بيدي و تتجه بي إلى قبر أمى و كلما إقتربنا تتسارع نبضات قلبي كالمحب و هو يلاقي محبوبته لأول موعد و هو يرتجف ولعاً و خجلاً...

وقفت على قبرها باكيا وأحسست بروحها تربت على كتفي وتشكرني على زيارتي لها و التى كما قالت جدتي أنها كانت تتمنى و هى تفارق الحياة أن تراني (ولو حتى بعد تلاتين سنة) قبلت يد جدتي مودعاً بعد أن قضينا اليوم- حتى مغيب الشمس- و نحن نتبادل الحكايات و الضحكات و كيف كنت طفلاً صعب المراس و كيف كنت لا ألبي لأمي طلبا (إلا بطلوع الروح) و كيف كنت أتمرد على اسم إبراهيم عندما تناديني به رغم معرفتي بقيمة هذا الاسم لديها و كيف.. و كيف ...و كيف؟؟؟ و اختلطت ضحكاتي بأسفي على ما إقترفته فى حقها و لكني كنت صغيراً و كنت أحبها جدا و كانت تشعر بحبي لها و تبتسم لي دائما حتى و أنا أعصيها.... كم كنت عظيمة يا أمي؟؟

و ركبت سيارة الأجرة و أنا ألوح لجدتي و هي تقول (مع السلامه يا إبراهيم.. و بطل تشرب سجاير زي ما أمك قالتلك) رفعت حاجبى متعجباً و أشرت بيدي متسائلاً كيف عرفت جدتي ما قالته لي أمي ليلة البارحة؟؟ و كأنها لمحت الدهشة فى عيني فبادرتني قائله (مش إنت لوحدك اللى بتسمعها)!!!!!!

فابتسمت لها و قلبى ينتفض بسعادة لم أعهدها من قبل فكم هو جميل أن يستعيد الانسان طفولته و براءته و لو لسويعات قليلة....و أن يستعيد صوت أمه....

-ممكن تنزلنى مبنى المحافظة يا اسطى؟؟؟

-حاضر يا بيه بس انت مش عاوز تروح المطار؟؟

-بعدين ..بعدين نزلنى هنا؟؟

-اتفضل يا باشا مبنى المحافظة على يمينك .

-شكرًا يا اسطى.. انتظرني لو سمحت

-تأمر يا باشا

و في مبنى المحافظة و بعد ساعتين .....

-كده تمام يا باشا تيجى بعد خمستاشر يوم تستلم الأوراق.. أى خدمة يا باشا.

-يلا يا اسطى إرجع بينا تانى أجلت سفرى خمستاشر يوم.

-خير يا باشا ؟

-طبعا خير يلا بينا.

و بعد خمسة عشر يوما..... و في المطار

و على باب الطائرة يتفقد الضابط المسئول جواز السفر و يتحقق من الإسم و الصورة

ثم يقول:

رحلة سعيدة..... دكتور (إبراهيم)

أبتسم له إبتسامة عريضة و أكاد أعانقه.

اليوم إنتصرت لأمى...

اليوم إنتصرت لها .....

أحلام

الجزء الأول

لم أعد أحبك

صمت صارخ...لا يقاطعه سوى زخات من مطر آخر ليلة فى شتاء عامها الخامس معه...

لم يدم صمتهما سوى لحظات..

لكنها كانت دهرا كاملا استعادت فيه (أحلام) كل حياتها و ذكرياتها مع زوجها...

اليوم أخبرها(فؤاد) أنه لم يعد يشتاق إليها..لم يعد يألفها..لم يعد يسعد بوجودها بجواره...لم يعد...لم يعد....

لم تسمع(أحلام) باقى كلماته و تحجرت الدموع أمام مقلتيها و أحست بغصه و مرارة تمزق قلبها. و لولا بقايا من كبريائها المعهود لسقطت مغشياً عليها و هو يتم كلامه.....

.....لم أعد أحبك

ترددت كثيرا...ثم سألته بأحرف متلعثمة... و هى تكاد لا تنظر إليه...فهى تعرف ضعفها أمام عينيه الحانتين.....

(أهي إمرأة أخرى)؟؟؟؟؟؟

لم تنتظر إجابته...و تداعت عليها أحداث الأشهر الماضيه و كيف كان فؤاد دائم التأخر في المصنع على غير عادته..و حبيس غرفة مكتبه إذا تواجد بالمنزل..بل أنها كانت كثيراً ما تسمع- مصادفة- همساته و كأنه يكلم أحداً. هى ليست على يقين أنها امرأة فقد كان صوته خافتاً و لم تلتقط شيئاً يدل على طبيعة من يكلمه !!... و لكن قلبها الآن بل و عقلها أيضا يؤكدان لها أنها كانت امرأة..لقد كانت همساته لها تدل على معرفة وثيقة و صلة قوية.. و الآن تدرك أن همسه لها..أقرب إلى العشق و الهيام....

و قفز فى خاطرها ذلك اليوم الذى عادت فيه من مكتبها قبل منتصف الليل بقليل كعادتها و دخلت مكتبه دون استئذان لفرط لهفتها على أوراق قضية الفساد الكبرى و التى سهرت البارحة طوال الليل تراجعها و نسيتها فى حجرته ..لقد حسبته خلد إلى النوم..لذا دخلت مكتبه فجأه لتراه يمسك بصورة بين يديه و يبتسم ابتسامته التى تعرفها جيداً عندما كانا يتلاقيان في سنوات زواجهما الاولى...و عندما رآها أسرع يدسها فى جيبه.. و تبدلت ملامحه..و لكنها لم تعر للأمر اهتماماً كبيراً.. فقد كانت تطمئن على ملف قضيتها الكبرى و تبسمت عندما وجدته....إنها الآن تتذكر ذلك جيداً و كيف أنها قبل أن تغادر غرفته سألته بكل اهتمام إذا كان قد تناول العشاء...و لكنها حقيقة لا تتذكر رده عليها.. ربما لأنها لم تسمعه جيداً و هى تغادر مكتبه..و فى كل الأحوال لقد كانت مرهقه جدا و ليست على استعداد لإعداد وجبه العشاء لأحد.. و لابد لها من أخذ قسط وافر من النوم حتى تكون متألقة كعادتها في القضيه الكبرى باكراً و التي ينقلها التلفاز و تتابعها الصحف عن كثب...و لكن ذلك لا يقلقها فهذا ليس بجديد عليها .. و لكن لا مانع في مزيد من الشهرة و الأضواء...

و تذكرت أحلام فيما تذكرت..حديث(كوثر) ألد صديقاتها..عندما أخبرتها بأن (فؤاد) دائم التردد على ذلك الكازينو الشهير بالدقي.. و مع أنها لم تؤكد رؤيتها لأحد معه ..إلا أنها على يقين بأنه ينتظر شخصا ما..حيث دائماً ما كان يجلس على طاولته المنزوية في آخر أركان المكان.. و يطلب قهوته السادة و لكنه يطلب أيضًا عصير البرتقال مغموراً في الثلج و يضعه ناحية المقعد الشاغر أمامه....

الآن تأكدت بما لايدع مجالا للشك أنها امرأة أخرى تلك التى ملكت قلب زوجها..فهو لا يشرب عصير البرتقال بل إنه لا تتحمله معدته

و أي رجل يكون هذا الذى يطلب دائماً عصير البرتقال مغمورا في الثلج؟؟؟؟؟؟....

لقد كانت الدلائل واضحة ... و لكن كبريائها رفض الانصياع لمشاعر المرأة فى داخلها...و إعتراها غضب شديد أهكذا يكون جزاؤها أن إختارته دون عشرات العاشقين و الراغبين في وصالها.... رغم أنه كان لا يملك شيئا من حطام الدنيا سوى شهادة الدكتوراه فى الهندسة.. و كيف أنه الآن – بفضل مساندتها له–..من أكثر مهندسي مصر شهرة و أكثرهم إبداعا و ثراءً ..

الآن .....و قد سقطت آخر ورقه توت بينهما...لا سبيل عن المواجهة و ليكن ما يكون؛!!!!!!....

الجزء الثانى

اللقاء الأول

قضت أحلام ليلتها مستيقظة طوال الليل تبكى تاره..و تاره أخرى ترتب أفكارها و تنتقي كلماتها التى ستواجه بها فؤاد ..و وجدت نفسها أمام أصعب (مذكرة إدعاء) في حياتها..

إنها المحامية المرموقة و التي تهتز لها قاعات المحاكم و يبجلها القضاة و يخشاها المحامون..لحصافة منطقها و فصاحة كلماتها و قوة هجومها و دفاعها...هاهى الآن تهرب منها الأحرف و تتخلى عنها الكلمات...ليس لضعف فيها بل لقوة خصمها. و أي قوة.....فكم هو قاس أن يكون خصمك في قضيه حياتك كلها هو حبيب العمر و رفيق الذكريات..

إنه أول من دق له قلبها ...و احتواها بحنانه و رجولته..

تذكرت أول لقاء بينهما ...و إرتجف قلبها بشدة.. و إرتعشت أناملها .. و اخضب وجهها بالحمرة و هى تستعيد ذكريات ذلك اليوم من أيام الربيع...حينما التقت أعينهما لأول مرة في مكتبة الاسكندرية... حيث كانت تستكمل رسالتها لتنال درجة الدكتوراه في القانون...

كان يوما شديد الحرارة ..و كان فؤاد يرتدى قميصا زهرى اللون يتناغم مع بشرته الخمرية و عينيه العسليتين.. كان يبتسم و هو يطالع إحدى مراجع علم الهندسة.. و ما زادته الابتسامة إلا وقاراً و جاذبية...إنه من الرجال الذين ما إن تقع عينيك عليه حتى تدرك أنه إنسان نبيل لا يحمل غير الحب و التسامح و الإخلاص فى طيات نفسه...

لم تستطع أحلام أن تصرف نظرها عنه..و تمنت أن لو رفع عينيه و لو لمرة أخيرة حتى تنال من دفئهما قبل أن تغلق المكتبة أبوابها بعد دقائق معدودة..

و تحقق لها ما تمنت..و وجدت فؤاد يرمقها بنظراته و هو يغلق كتابه و يستعد للانصراف...و انتابها شعور غريب ..ما هذه الفرحة الغامرة المكسوة بخيبة الأمل و هى تراه يلملم أوراقه و يضعها فى حقيبته السمراء الصغيرة...و اتجه نحوها بخطوات واثقه....إرتبكت و هربت من نظراته لتدس رأسها فى كتابها ..كانت تسمع ألحان خطواته تقترب منها و مع كل خطوه تتسارع نبضات قلبها أضعافا...حتى أحست به يمر بجوارها ..و يتجاوزها متجها إلى باب المكتبة و ينصرف ...توقف قلبها للحظات عن الخفقان و أحست بصدرها يضيق عليها... و اعتراها حزن شديد لا تجد له تفسيرا..فهى لا تعرفه... ربما كان شخصا سيئا..و ربما كان متزوجا أو له حبيبه. و ربما ... و ربما.

.لم تنتبه أحلام إلى صوت موظف المكتبة و هو يعتذر لها عن اضطراره إلى إغلاق المكتبة حيث انتهت أوقات العمل...لم تسمع شيئا مما قاله و لكنها وجدت نفسها تبتسم له ابتسامه ذابله و تنصرف....

تمنت أحلام أن يكون فؤاد ينتظرها خارج المكتبة و يقبل عليها و يعرفها بنفسه و ربما يدعوها لشراب بارد يخفف عنها حرارة هذا اليوم أو إن شئنا الانصاف أن يخفف عنها وطأه ما تشعر به الآن....و لكنها كانت سوف ترفض بالطبع فهي لا تعرفه و لكن مجرد دعوته لها سوف تسعدها كثيرا..

لكن هذا لم يكن مقدراً له أن يحدث.....

و مرت الأيام و الشهور.....و عينا فؤاد كثيرا ما تطالها فى أحلامها...إنها لم تكن يوما بالمرأه الرومانسية...بل كانت تسخر ممن يغدقون مشاعرهم بدون حساب ..فما هذا الذى يحدث لها...إنه شئ خارج عن إرادتها بل و أيضا خارج عن رغبتها فهى فى فتره عصيبة و تستعد لاجتياز مرحلة حاسمة فى دراستها و لا تريد شيئا أو أحدا يسلب منها جزءا من عقلها أو قلبها....

و كان ذلك النهار و قد اقتربت الشمس من المغيب ..بعد أن أنهت أحلام وقتها فى جامعة القاهرة و اتجهت كالعادة كل خميس مع صديقتها(كوثر) إلى أحد الكازينوهات المشهورة بحسن السمعة و جودة ما تقدمه لروادها...و اتجهتا إلى مائدتهما المفضلة..و طلبت أحلام عصيرها المفضل...و أخذت ترتشفه بكل نهم و متعه و هى تداعب بشفتيها الممتلئتين قطع الثلج التى تملؤه عن آخره...

وفجأه قاطعتها كوثر لتنبهها بأن ذلك الرجل فى الركن الآخر من المكان ينظر إليهما باستمرار....ضحكت أحلام ...و طلبت من كوثر ألا تشغل بالها....و أن تكمل لها حكايتها

مع طارق زوجها و التي لا تخلو من الطرافة و خاصة أن كوثر لها أسلوب كوميدي ساخر فى سرد القصص.....

لم تنتبه إلى أن الذى ينظر إليها هو ذلك الرجل الذى ملك عليها أحلامها و خفق لنظراته قلبها ....فؤاد

إعتذرت كوثر لأحلام لاضطرارها للمغادرة مبكراً لأن طارق ينتظرها ليذهبا سويا الى الطبيب لمعرفه سبب الألم المتكرر الذى ينتابها أسفل بطنها و لاسيما أنها في شهور حملها الأولى و طارق لا يتحمل أن يصيب مولودهما الأول أي مكروه و سوف يغضب إذا تأخرت على ميعاد الطبيب...

ودعتها أحلام بابتسامه و تمنيات بأن تكون أمورها على ما يرام مطمئنه إياها بأن ذلك شيء طبيعي عايشته مع أختها الكبرى ناهد و لكن لابد دائما من متابعه الطبيب...شكرتها كوثر و انصرفت و تابعتها أحلام بنظراتها حتى خرجت من الباب....

هنالك لمحت أحلام تلك العينان اللتان تنظران اليها ...إنه هو... ..ما الذى أتى به إلى هنا؟...لم تهتم أحلام أبدا بإجابة هذا السؤال السخيف ....كل ما يهمها الآن أنه هو و أنه ... هنا ...و ينظر إليها...و خفق قلبها بفرحة أشد من تلك التي اعترتها في لقائهما الأول....و لكن فرحتها هذه المرة كانت مشوبة بالحزن حيث أنها تدرك أنها إن هي إلا لحظات و يغادر مخلفاً وراءه ذكرى فرحه و ذكرى خيبة أمل من جديد....راحت أحلام تتجنب النظر إلى فؤاد ما استطاعت....و كانت تجاهد أن تصرف عن نفسها الاهتمام به و تجبر

عقلها على التفكير في أمور أخرى و لكنها لا تلبث أن تفقد عزيمتها و ترنو إليه بنظرات خاطفة لتطمئن أنه مازال هناك....

استجمع فؤاد جرأته و اتجه نحوها ملقيا تحية المساء ....لم تستطع أحلام بلوغ معجم كلماتها لترد تحيته أو حتى ترفضها...و ارتعشت يدها و أسقطت الكوب من يدها لفرط إرتباكها.....شعر فؤاد بالخجل الشديد و أخذ يمطرها بوابل من الأسف و الإعتذار....و لم ينقذه من ذلك... إلا صوت النادل و هو يعتذر لهما و يخبرهما بأن يتجها لطاولة أخرى ليتمكن من تنظيف مائدتهما من آثار كوبها المسكوب...و وجدت أحلام نفسها تسير مع فؤاد ليجلسا على مائدته...قبل أن تفيق من صدمتها و تقف فجأه و تعتذر له و تهم بالانصراف ...أمسك فؤاد بيدها بعفوية بريئة داعياً إياها لتتناول مشروبا عوضا عن الذي تسبب بانسكابه...أحست أحلام بأمان و طمأنينة و هي تحس بيد فؤاد تقبض على يدها بكل الدفء و المودة مما دعاها بدون وعي إلى الجلوس و قبول دعوته.....

أجهشت أحلام في البكاء. و هي تتحسس أناملها و تتذكر ذلك اليوم الذي تلامست فيه أيديهما لأول مرة...و ضحكت و هى تتذكر حديثهما معا...و كيف أن فؤاد دائم الحضور إلى هنا كل خميس بعد الانتهاء من أبحاثه بجامعة القاهرة.. و التي بدأها الشهر الماضي.. و أخذ يحدثها عن نفسه و كيف أنه من أسرة بسيطة الحال و كان يضطر للعمل باحدى الصيدليات مساءً ليتدبر نفقات دراسته...لقد بات فؤاد كتاباً مفتوحاً لأحلام.. وكذلك هي لم تبخل عليه و فتحت له مكنون حياتها و أخبرته كم هى طموحة إلى أقصى الحدود و لم تشأ أن تواصل سبيل والدها ذلك الجراح الكبير و فضلت مهنة المحاماة لأنها تعشقها حتى النخاع و تكرس لها كل اهتمامها....

تعددت اللقاءات و تأصلت المشاعر حتى عرض عليها فؤاد الاقتران بها لأنه يريد أن يكون بجوارها ما تبقي له من حياته...و لكنه يخشى من اعتراض أهلها للفرق الكبير بين حياته و حياتها.....قبضت أحلام على يده بشده لا تتناسب مع رقتها و جمالها الباهر...واعده إياه أنها لن تكون إلا زوجه له و ستقف بجانبه و تدعمه بكل قوتها و حبها...

و تحقق لهما ما أرادا و كانت ليلة زفافها ليلة سعيدة رغم بساطتها حيث رفض فؤاد أي مساعدة من والد أحلام و أصر أن يتم كل شيء حسب ما أوتي من سعه..

و مرت السنوات الأولى من زواجهما و هما يزدادان نجاحا و ثراءً و عشقا...

و رغم أن الله لم يشأ أن يمنحهما طفلاً يغدق عليهما سعادة و مرحاً..إلا أن ذلك لم يغير من عشقهما شئ بل زادهم إرتباطا و موده...

قفزت أحلام من فراشها و هى تصرخ ...الآن ملكت الدليل و تأكدت من إدانته أنه يبحث عن امرأه أخرى تنجب له طفلا...أوَ لو كان هو الذى لا ينجب أكنت بادرت بالتخلي عنه؟.

و حتى لو كانت تلك رغبته لماذا كان يخدعها طول الوقت و يخبرها انه لا يحتاج لاحد فى الدنيا سواها ..وانه عندما ينظر اليها تكفيه الدنيا بمن فيها بل إنه بوجودها إلى جواره لا يشعر بالجوع أو العطش.

....ياله من كاذب ماهر.

.....ياله من مخادع.

.....ياله من خاائن .

الجزء الثالث

المواجهة

بلغ التعب والحزن من أحلام مبلغهما...و غلبها النوم و هى مستلقية على ذلك الكرسي المخملي الوردي اللون و الذى أهداه إياها فؤاد فى عيد زواجهما الأول بعد أن لمح مدى إعجابها به حينما كان يتجولان فى أحد المولات الكبيرة بوسط البلد ...و من فرط إعجابها به ..فضلت أن يكون مستقره هناك فى الركن البعيد من حجرة نومها بجوار تلك الطاولة الأثرية و التي استقرت فوقها صورتهما معاً ... إلا ان دموعها أبت أن تسايرها فى رغبتها و واصلت ثورتها حتى مطلع الفجر...

استيقظت أحلام لتجد نفسها تحتضن صورتها مع فؤاد و قد بللتها الدموع حتى كادت أن تتلف..فأسرعت بدون وعي لتحضر منديلاً و تجففها بكل اهتمام فهي الصورة الوحيدة لهما معا قبل الزواج و التي التقطها لهم مصور محترف و هما يجلسان فى ذلك الكازينو بعد ان جذبته تلك الهالة من العشق التى تحيط بهما و أصر أن يقدمها لهما هدية فقبلاها بسرور بالغ به بعض التحفظ أبداه فؤاد بدون تصريح بين لاقتحام عزلتهما....و أبت أحلام إلا أن تضعها فى غرفة نومهما حتى تكون صورتهما معا آخر ما تعانق عينيها كل ليلة....و أول ضوء يداعب مقلتيها كل نهار.....

ظلت أحلام ترنو إلى الصورة و تداعت إلى مخيلتها حياتها مع فؤاد و كيف كان يغدق عليها من حبه و حنانه ....لا تذكر له يوماً تعمد فيه الإساءة إليها و لو بطرفة عين...لقد كان يذوب فيها عشقا و غراما و تكاد تسمع صوت دقات قلبه تختلج داخل صدره عندما تقبل عليه...و تحتويه بين أحضانها... و تغزو بأناملها الرقيقة خصلات شعره البني....ليزول عنه – كما كان دائما يقول– كل تعبه ليتبدل راحه و سكينة و إطمئنانا...

لم تذهب أحلام فى ذلك اليوم إلى مكتبها..و أمضت عدة ساعات من النهار و هى لا تقوى على النهوض من مكانها و أصاب جسدها إعياء شديد من ليلة البارحه.. و لكن ما اصاب فؤادها كان أشد و أقوى...

و إنتبهت أحلام لطرقات لاتكاد تسمعها على باب غرفتها...حسبتها في بادئ الأمر خادمتها روحية و التي إستخدمتها منذ ما يقرب من سنة لتتولى عنها تدبير المنزل لانشغالها الشديد بأمور مكتبها..

آثرت أحلام ألا تجيبها و إن هى إلا لحظات و تعتقد روحية أنها ما زالت نائمة.. و تنصرف عنها ...فهى لاتريد أن يراها أحد و هى فى قمة ضعفها و قلة حيلتها....

و بالفعل اختفت الطرقات من على بابها....و لكن ما هى إلا ثوان معدودة لتعود الطرقات من جديد و قد صاحبها صوت فؤاد يناديها بينما يفتح الباب و يدخل الغرفة...

إنتابت أحلام سعاده لا تعرف سببها... ربما لانها تذكرت تلك المرات العديدة عندما كانت تعود من عملها و قد أصابها النصب و الغضب من أحداث يومها.. لترى فؤاد يدخل عليها غرفتها حاملا عصيرها المفضل و يبادرها بابتسامته التى تعشقها و ما أن تراها حتى

يستحيل غضبها سكوناً و نصبها استرخاءً و دفئاً...و ما أشد حاجتها إلى هذا الشعور الآن....

و لكنه هو –هذه المرة– هو من سبب لها الغضب و التعب...فلماذا فرحت برؤيته؟!!..ربما لأنها أحست أنه مازال فى دنيتها إلى الآن بعد أن كانت بالأمس تظنه فارقها إلى الأبد...

إنها تعشقه منذ اللحظة الأولى و لا تظن أن ذلك سيتغير يوما ما... و لكن خيانته لها سببت لها جرحا عميقا لن يندمل و لا سبيل لإصلاحه..لقد عقدت أحلام عزمها على وضع نهاية لحياتهما معا..لكن جل ما تطلبه الآن هو أن يقر أمامها بخيانته و تشفى بإعترافه لها جزءاً مما يحيك بصدرها من حسرة و غضب...و لتكن صورته و هو يقف أمامها تلطخه وصمات الذنب الكبير حافزا لها على نسيانه و المضى قدما فى حياتها..

أخرجها فؤاد من افكارها و وجهه يكسوه حزن و إرهاق شديد كأنه لم ينم منذ شهور ... أخبرها أنه انزعج عندما رأى سيارتها و أدرك أنها لم تذهب لعملها فخشى أن يكون قد أصابها مكروه..فأقبل يطمئن عليها..

أجهشت أحلام فى بكاء شديد لم ترغب أن يداهمها الآن و هى تستعد للمواجهة الكبرى ..و لكنها لا تستطيع ان تتحكم فى حزنها الهائل و العميق..و هى تراه الآن أمامها لتستعيد كلماته القاتلة ليلة الأمس...

كفكفت أحلام دموعها و انتصبت واقفة و انسابت كلماتها الغاضبه تتهم فؤاد بخيانته لها و التى لاتجد لها مبرراً أو سبباً إن كان للخيانة من الأساس سبباً..

واجهته بما سمعته من أحاديث الهوى و هو مغلق عليه مكتبه و بالمرأة التي يواعدها بإنتظام كل خميس بالكازينو و بعصير البرتقال المغمور فى قطع الثلج الذى يطلبه دائما لها... و بصورتها التى يدسها فى جيبه عندما يراها.....

إنها من فرط ثقتها به لم تشغلها تلك الأمور في البداية و لكنها الآن تدرك كم هى حمقاء ... و أنه لم يكن يستحق أن تهبه قلبها و كل مشاعرها كما لم تفعل مع أحد...

ولكن فؤاد لم يكن كما اعتقدت أحلام فى موقف الخصم الضعيف عندما يقر بجريمته... بل على العكس من ذلك وجدته كأنما سعد بتلك الفرصه السانحه ليفرغ مكنون قلبه و ارتسمت على ملامحه قسمات الارتياح طالبا منها أن ترتدى أجمل فساتينها حيث يدعوها للخروج و ليكملا حديثهما بعيدا عن تلك الأجواء التى تهيم فى المنزل لتبعث فيه توتراً و انفعالاً..

تعجبت أحلام من موقف فؤاد و اتهمته بالهروب من مواجهتها و أنه يحاول التملص من جريمته و أنها لاتريد سوى معرفة تلك المرأو و لعل هذا أبسط حقوقها إن كانت ما تزال لها عنده حقوق...

رفض فؤاد أن يخبرها بأى شيء إلا بعد أن تلبى طلبه للخروج... وأمام عناده وإصراره اللذين تعهدهما أحلام لأول مره منذ لقائها به..حيث كان دائما ينزل على رغباتها ويلبى طلباتها ما إن يلمحها فى عينيها من قبل أن تسأله...

...أمام ذلك الإصرار وجدت أحلام نفسها تطلب منه الخروج من الغرفة حتى ترتدى ملابسها فهى الآن تحسه غريباً عنها و إن آلمها ذلك مثل ما آلمه..و لكنه استجاب لها.. لتسحب أحد فساتينها دون أن تهتم لشكله أو لونه...

ركبت أحلام بجوار فؤاد فى سيارته و التى لم تركبها منذ فترة طويلة...و داعبتها تلك الرائحة التى تعشقها و التي اشترتها بنفسها كهدية له عندما إشترى هذه السيارة...إنه مازال يستعملها إلى الآن.. و هاهى كوكب الشرق تصدح بأغنيتهما المفضلة و التي كثيراً ما استمعا إليها معا.....(بعيد عنك... حياتى عذاب..ما تبعدنيش.. بعيد عنك)..

أسرعت أحلام لتطفئ كاسيت السيارة و هى تتمتم و تقول..(كلام فارغ)....(بادرها فؤاد بضحكه قوية وصلت إلى حد القهقهة..و نظرت إليه و باغتتها ابتسامة –و هى ترى فؤاد و هو يضحك ملء شدقيه– حرصت على أن تخفيها سريعاً حتى لا يلحظها زوجها..و راحت تشغل تفكيرها بمن تكون تلك المرأة التى سلبتها قلب زوجها و حطمت فؤادها و دنياها..

وما هي إلا دقائق معدودة حتى استقرت سيارة فؤاد أمام ذلك الكازينو..و رمقته أحلام متعجبة.. لماذا يحضرها اليوم لذلك المكان الذى لطالما كانت لهما فيه ذكريات حبهما و الذى شهد أول حديث بينهما و أول لمسة منه ليدها..بل و أول صورة لهما معا..... ياله من متبجح..ألا يراع مشاعرها أم يحاول أن يجتر عليها مشاعر الماضى ليصيبها الضعف ولا تقوى على مواجهته..و لكن هيهات له ذلك فهي عازمة على إذلاله و إجباره على الإعتراف لها بكل تفاصيل خيانته...

الجزء الرابع والأخير

حبيبتي من تكون

دلف فؤاد و أحلام إلى داخل الكازينو حيث قابله النادل بإبتسامة عريضة سبقتها نظرة خاطفة إلى أحلام و هو يلقى عليهم تحيته مشيرا إلى تلك المائدة فى الركن البعيد ليخبر فؤاد بأن طاولته المعتادة شاغرة لحسن الحظ مع أنه أتى اليوم بدون سابق حجز و كذلك فى غير يومه المعتاد...ابتسم فؤاد للنادل و شكره على كرمه و حسن استقباله ...

اتجه فؤاد لطاولته و هو يسبق أحلام بخطوة أو خطوتين و هرع ليسحب لها مقعدها كأي جنتلمان فرنت بطرفها إليه ثم أدارت وجهها تتأمل أرجاء المكان كأنها تفتقده بل هى بالفعل تفتقد أجواء هذا المكان و التي عايش مولد قصة حبها و عشقها الكبيرين وها هو الآن يشهد نهاية حلمها بل وهمها الكبير ..الآن يخبرها فؤاد عن حبيبته الأخرى لتقطع كلماته آخر مابقى له فى قلبها من حب..

بادرها فؤاد بالسؤال عن أحوالها فى العمل و هل هى سعيدة و هي ترى نفسها تزداد شهرة و قوة كل يوم و هل تحققت كل أحلامها أم أنها ترغب في المزيد...

قاطعته أحلام بأن هذا ليس وقت الكلام عن عملها و ليس الهدف من خروجهما معا...إنها تريد أن تعرف كل التفاصيل عن حبيبته الأخرى ..متى عرفها؟ و كيف إلتقاها؟ و لماذا وقع

فى غرامها رغم كل الذى كان بينهما؟..و حذرته من خداعها أو الكذب عليها و ليكن صدقه معها اليوم آخر ما يتبقى له من إحترام لديها.... و الأهم من ذلك من هي و هل تعرفها؟؟؟؟

لم يعرف فؤاد من أين يبدأ حديثه فهو لم يتمنى أبداً أن يقف أمامها هذا الموقف و أن يكون صريحا معها للدرجة التى تؤذيها أو حتى تخدش مشاعرها..و لكن لاسبيل له الآن أمامها و أمام نظراتها المتوثبه كفهد جريح ينتظر فرصته لينتقم ممن جرحه..لم يكن أمامه إلا أن يخبرها بما احتبسه فى صدره و قلبه طوال الفترة الماضية... و هم بالكلام لولا أن أتاه النادل سائلاً إياه..هل يحضر له طلبه المعتاد الآن فاعتذر له فؤاد أن يؤجل ذلك لبرهة من الوقت و سوف يطلبه عندما يحين الوقت المناسب... فانصرف النادل و هو يتمتم بآيات الإعتذار المهذب..

إنها اجمل امرأة وقعت عليها عيناي!!!!....هكذا بدأ فؤاد حديثه و هو ينظر عميقا إلى عيني أحلام و هو يراها و قد اتسعت حدقاتها و إحمرت وجنتها غضبا و غيرة حاولت إخفاءها وهى تستحثه على مواصلة الحديث.....

استرسل فؤاد فى حديثه و بدا عليه كأنه يستدعى ذكريات من الماضى القريب و هو يقول:

كان يوماً حاراً و لمحتها و هى تعبث فى خصلات شعرها غير مبالية بمن حولها فأحسست أن الدنيا استحالت ربيعاً من حولي و عمها ضياء شديد و أصبحت الألوان أكثر بريقاً و الأصوات من حولي تكتسى بنغمات لا يجيدها أمهر العازفين...لقد خفق قلبي لها بشده منذ

الوهلة الأولى و تمنيت ألا تغيب عن ناظري لحظة واحدة.. و أقسم أنى فى هذه اللحظات كنت على إستعداد أكيد أن أظل أرنو إليها و أن يظل بهاؤها يحتضن ناظري إلى أبد الدهر...

إنها امرأة فريدة من نوعها تشع بريقاً و ذكاءً و إحتراماً. ..لم أكن فى حاجة أبداً أن أوثق معرفتي بها لأتحقق من ذلك.... و عندما عاونتنى الأقدار و ساقت لي فرصة سانحة لأتقرب إليها..... ملكنى عشقها حتى النخاع من اللقاء الأول..و أحسست أنه بعد اليوم لا سبيل لى إلا التعبد فى محرابها و لتكن حياتى كلها قرباناً لها....

لم يلحظ فؤاد تلك الدموع التى تحبسها أحلام فى عينيها و ذلك الغضب الذى أشعل الثورة فى جسدها و غزا أناملها و أظافرها التي كادت تنكسر من شدة طرقها على المائدة بتوتر و إنفعال عظيمين ..و هى تستحثه على مواصلة الكلام بينما هو لم يكن فى حاجة لذلك....فلقد تداعت عليه الكلمات كأنها أمواج فى بحر عظيم ليواصل سرد قصة عشقه الكبير قائلا:

توطدت علاقتنا و التحم قلبينا و توحدت نبضاتنا.. و عايشنا أياما طويله مرت كأنها لحظات و تصدينا لعقبات هائله تحول دون تواصلنا معا... و كانت لى دوما أماً و أختاً و صديقة و حبيبة....كانت العرين لى و كنت الملجأ و السكن لها...كم من ليال تملكنى فيها اليأس و الغضب لأجد أحضانها تمحو همومي و تملؤني ثقة و سعادة....لقد كانت تدرك ما يعتريني من ضيق أو نصب بمجرد أن تلمح عيناي و تهرع إلى إسكانى فى جنتها لتطعمني من حلو ثمارها ..و كنت أشعر بهمسات قلبها دون أن تنبس بشفه..لقد أصبحنا قبلة العشاق ومنتهى أمل الأحبه..

لكن القدر كان يخبئ لى ما لم احسبه يوما أن يكون....

ذهبت حبيبتى دون وداع.. لم يبق منها سوى ذكريات مازالت تملؤني سعادة و ابتهاجاً كلما استعدتها....لم تترك غير صورتها فى مخيلتى..و صورتها فى لقائنا الأول..و التي كثيرا ما سهرت الليال الطوال أنظر إليها... و ما كان ما سمعتيه من همساتى العاشقه إلا مناجاة لها.. و رجاءً منها أن تعود إلي... فلم أعد أطيق فراقها و استحالت حياتى خاوية و فؤادي هواءً...نعم كنت أستعين بذكرياتى معها لتنسينى قدراً و لو ضئيلاً من لوعة فراقها...كنت أحضر إلى مكان لقائنا الأول و أجلس على نفس الطاولة و أطلب لها عصير البرتقال المغمور فى قطع الثلج الذى تعشقه و أنتظر قدومها لتهرول إلي و تعتذر مني عما بدر منها من هجر و إهمال..أنتظر و أنتظر كل أسبوع و أنا أراقب الثلج ينتحر أمامي دون أن ينعم بقبلة الحياة من شفتيها و هى تداعبه..

لم يوقف فؤاد عن مواصلة حديثه سوي صوت نحيب أحلام و هى تبكي و تبلل المائدة بدموعها..و هى ترى فؤاد و قد سالت دموعه دون أن يدري....و لا تدري لم تبكي الآن ؟؟؟ لقد أصابتها كلمات فؤاد فى صميم فؤادها و لمست دموعه جانبا فى نفسها أثار و لو للمحة بصر تعاطفها معه...أيعقل أن ترضى لحبيبها كل هذا العذاب..أو لو كانت سعادته لا تقوم إلا على أنقاضها!!!!!...

اختلجت المشاعر داخل أحلام و لم تدر ماذا تقول أو ماذا تريد... لكنه من المؤكد لديها الآن.. أنها لن تستطيع مواصلة حياتها معه و خاصة بعد هذا الاعتراف الأليم..كيف تستطيع أن تنظر في عينيه مرة أخرى وهى تعرف أنهما دائما ماتبحثان عن حبيبتهما الأخرى

المفقوده؟؟؟..بل كيف تتحدث إليه وهى تعرف أن أذنيه تنتظران أنغام شفتيها الصامتتين؟؟؟؟....

ساد الصمت بينهما حتى كاد أن يكون دهرا....استعادت فيه أحلام كلمات فؤاد مرات ومرات لعلها تجد فيها عيباً أو نقصاناً بلا جدوى....حاولت استثارة مشاعر الغيرة و الغضب و لكنها لم تكن هناك...حاولت أن تتخيل هذه المرأة وكيف يكون شكلها...أطويله هي أم قصيرة ؟..نحيفة أم ممتلئه؟..بيضاء أم سمراء؟....لم تهتد لوصف فى مخيلتها يوازي وصف فؤاد لها..فقررت أن تسأله أن يريها صورتها إذا سمحت نفسه بذلك..

تردد فؤاد قليلا.. ثم أخرج صورة حبيبته الغائبة من جيبه اليسار بجوار قلبه و التي يحملها معه كلما غدا أو راح.. و وضعها أمامها .....أمسكت أحلام بالصورة و مسحت دموعها حتى تتمكن من رؤيتها جيدا فكم كان عظيم إشتياقها لرؤيتها.....

نظرت أحلام إلى الصورة و اتسعت حدقتا عينيها و استحالت تبكى بهستيرية شديده.....أهذه هى؟؟؟؟؟

إنها آخر إمرأة توقعت أن يملك لها فؤاد كل هذا العشق و الغرام و لا يلاقى منها إلا الإهمال و الجحود.....

إنها..... صورتها

نعم صورة أحلام و هى تعبث بشعرها فى مكتبة الأسكندرية

لقد إلتقطها لها فؤاد على غفلة بكاميرا الجوال ثم أسرع منصرفا عندما لمحه موظف المكتبة و لولا ذلك ما انصرف قبلها و لظل ينعم بالنظر إليها...أنها أول مرة يجتاز فؤاد حدود اللياقة. و لكنه كان لا يتحمل فكرة ألا يراها مرة أخرى...لقد اخفاها طوال هذه السنين لأنه يدرك جيداً أنه ما كان له أن يأخذ ما ليس من حقه.. و خشي أن تأخدها أحلام نقيصة عليه حتى بعد زواجهما ....بل إنه إنتظرها خارج المكتبة ذلك اليوم و لكنها مرت بجانبه دون أن تراه و لم يكن يملك من الجرأة شيئاً يمكنه من التوجه إليها و الحديث معها.....و اكتفى بصورتها التي نسخها و لم تفارق جيبه منذ ذلك اليوم....و كانت ملاذه و سر سعادته طوال الأشهر الماضية عندما انغمست أحلام فى عملها و أهملت مشاعره و تخلت عن قلبه الذى لا يرتوي أبدا إلا بقربها منه و لا ينفك يظمأ إليها من جديد كلما غابت عن ناظريه.....

نظرت أحلام إلى فؤاد نظرة طويله اختلطت فيها عبارات الأسف و الندم تعانقها أهازيج النشوة و السعادة الغامرة....

هاهى تنتصر و هى مهزومة شر هزيمة.. و لكنها تعرف أنها ما انتصرت اليوم بل إنتصر قلب فؤاد لها..

و كطبيعة المنتصر .. و الذى يرغب فى الاستمتاع بنصره..سألته متعجبة!!!!....أهذه المرأة التى تهواها و تذوب فيها عشقا ؟؟؟؟...إنها تشبهنى لحد كبير .... و تعالت ضحكتها تقاطعها بقايا من بكاء..

باغتها فؤاد قائلا.... لا انها لاتشبهك الآن في شيء..

إنها حبيبتى عندما كان لها.....(فؤاد)

و كنت حبيبها عندما كان لدى..... (أحلام)

أحس فؤاد أن حبيبته قد عادت إليه لقد رأى ذلك فى عينيها و هى تعتذر و تعاهده ألا يفرق بينهما شئ بعد الآن و لو شاء لقضت باقى حياتها بين أحضانه لا تتنفس إلا أنفاسه ولا تقتات إلا على رحيق شفتيه....

لم يبد فؤاد رداً على حديثها بينما أشار للنادل أن يحضر طلبه المعتاد.. و ما هي إلا لحظات حيث كان النادل يضع القهوة السادة أمام فؤاد..

و أمام أحلام يضع كوب عصير البرتقال المغمور بقطع الثلج عن آخره

كما تعشقه دائما

الجميلة و الهستولوجي

المكان: .ساحة كلية الطب ومعمل سكشن الهستولوجى..كلية الطب ..جامعة عين شمس..العباسية

الزمان :..ظهيرة أحد أيام عام ١٩٩٢ ميلادية. على ما اتذكر الاحداث::

المشهد الأول

نهار خارجي صيفا..ساحة الكلية

يظهر من بعيد طالب بملابس بسيطة و لكنها مرتبة و متناسقة تبدو عليه آثار الأرق و قلة النوم..ربما كان من إحدى مدن الأقاليم.. و يبدو من حذائه الملطخ بالتراب أنه لا يملك سيارة. .و ربما أيضا لا يملك رفاهية استئجار سيارة أجرة.. و ربما كان يسكن قريباً من الكلية.

يبتسم الشاب نصف الوسيم لأقرانه فور رؤيتهم و سرعان ما تبادلوا التحيات و الأحضان بعد أن انقضت العطلة الأسبوعية و ذهب كل منهم إلى بلدته.. ليلتهم المحمر و المشمر عوضاً عن أكل المدينة الجامعية و كافيتريا الاعتماد و كبدة الشرقاوي .. ذلك الطعام المفروض عليهم طوال الأسبوع.. دون حق فى الشكوى أو التذمر..

توجه الأصدقاء جميعاً لحضور السكاشن المختلفة و هم يتبادلون القصص و الدعابات كعادتهم عند التقائهم كل سبت.. و كان المحور الثابت و الدائم فى تلك القصص و الحكايات هو صديقنا الريفي و الذى يملك مخيلة خصبة و لكنها تتفتح دوما فى اتجاه واحد و هو بنات قريته و اللاتى يتسابقن كل أجازه لاستقباله و لنيل نظرة من عينيه..أو بادرة ابتسامة من شفتيه..و لا يمل مراراً وتكراراً من سرد هذه الخيالات كل أجازة..كان لديه يقين لا يتزحزح بأنه فتى القرية الأول.. و كنا نضحك أحياناً و نغبطه أحياناً أخرى..و مع هذه القصة الأبدية..كانت تومض على استحياء بعض قصصنا و مغامراتنا فى عطلتنا..ربما يأتى المجال لسرد بعضها لاحقا..

المشهد الثانى:

نهار أيضا..امام باب معمل الهستولوجي

أخذت ضحكاتنا و كلماتنا تخفت تدريجيا فها نحن قد اقتربنا باب المعمل و اقتربنا من آذان المعيد..و لا نريد أن نقترب من لسانه و تأنيبه..

إندفعنا صوب باب المعمل و قبل أن أتجاوزه.. هبت نحوى رائحة لم و لن تصادف أحاسيسى مثلها يوما ما..ربما لأنها أول مرة أشتم فيها (برفان حريمي معتبر)..و وجدتنى رغم حيائي الشديد أتلفت يميناً و يساراً علي أجد مصدر العطر الفريد..

لم أجد ضالتي آسفاً.. فقد تزاحمت الفتيات و كلهن أميرات قد إرتدين أبهى الحلل و تعطرن بأزكى العطور...فغابت الزهرة وسط الورود.. و خفت أريجها من المكان.. و إن لم يبرح وجداني طرفة عين..

و ما هي إلا لحظات و قد أخذ كل منا موضعه كما أملت علينا الأرقام المثبتة على المدرج الخشبي، و طلب منا أن ننظر خلال الميكروسكوب المثبت امام كل منا.. و نبدأ في رسم ما نراه بأقلامنا الحمراء و الزرقاء الشهيرة.. و الموضوعة بإتقان داخل المجرى المحفور بالطاولة الخشبية.. و بدأنا ننهمك في رسوماتنا.. و ما هى إلا دقائق معدودة حينها أنهيت رسمتي .. لكني بعد فحص و تدقيق لم يستمرا طويلاً شعرت أنني غير راضٍ عما أنجزت.. فاستأذنت أن أعيدها فسمح لى..

و كانت معظم الزميلات حينئذ قد أنهين مهمتهن و بدأن في التجول في المعمل و الحديث مع بعضهن البعض بل أن بعض الزميلات وقفن أمامي مباشرة غير منتبهات لي و لا بأني

لم أتم رسمتي بعد.. و لكني –كما لم أذكر لكم – كنت المذكر الوحيد وسط حديقة يانعة من الزميلات..

وسط تلك الحفلة الصاخبة تقدمت نحوي سيدة العطر المجهول و الذى داعب حواسي كلها دفعة واحدة..تقدمت و جلست على الطاولة الخشبية أمامي مباشرة و هي تتحدث مع زميلة لنا...أحسست بالخجل الشديد.. و لا مجال أن أبرح مكاني أو أن أبدل موضعي فالميكروسكوب مثبت و لا مفر من إكمال المهمة..

تمالكت أعصابى كما لم أتمالكها من قبل.. و أخذت أصب قصارى تركيزي على نواة الخلية و سيتوبلازمها..

سارت الأمور بحال مرضٍ بعضاً من الوقت.. حتى كانت المفاجأة..لم أجد قلمي الأحمر..و بحثت عنه جيداً دون فائدة.. و بعض لحظات..تبين لى أن (الأمورة) تتكأ عليه..

استجمعت شجاعتي و قلت لها (لو سمحتي القلم).. و لكنها لم تجب.. ليس تعالياً منها ..أو تجاهلاً لشخصي .. بل لسبب أكثر منطقية.. و هو أن صوتي لم يتجاوز حنجرتي.. بينما تحركت شفتاي فقط في سكون ..كررت المحاولة مرات و مرات ..و لم أفلح لقد أصابني الخرس تماماً..

أكملت رسمي مضطراً بقلمي الأزرق فقط.. و لتذهب الألوان إلى الجحيم....وما إن اقترب انتهاء موعد السكشن.. وجدتها تنعم عليّ بصوتها الهادئ (سورى... ماخدتش بالى)

لقد تبينت أخيرا أنها إتكأت على قلمي .. بل إتكأت على كياني كله دون أن تشعر..

فى النهاية كان لابد لي أن أتكلم على الأقل لمجاملتها على إعتذارها الذى لم أكن أنتظره أو أتوقعه.....

فبادرتها بالكلام و الذى خرج مسموعاً هذه المرة و لكن بدا متشابكاً غير مفهوم... رمقتني بنظرة لا أعرف معناها ثم انصرفت و أنا أتابعها بنظراتي حتى اختفت..

و انتهى اليوم و ذهبت إلى مسكني.. و تذكرت الموقف و ضحكت كثيراً من قلة خبرتي أو إن شئتم قلنا براءتي.. و استعدت إعتذارها.. و استعدت ماقلته لها.. و لكن تباً لي ..!!!

قمت مذعوراً من فراشي حين تردد في صدري ما قلت لها، و أصبح جلياً الآن بعد أن هدأت مشاعرى..

تبين لي أنني قلت لها ما لا أتخيل يوما ما أن أقوله لفتاة عوضاً عن أن أقوله لها .....

(و لا يهمك يا جميل)..

نعم .. هذا ماقلته بكل تلقائية وقحة..لم أكن أنا حينها..كان شخصاً آخر..انتهز غياب عقلي من سحر كلماتها ليخرج و يصرخ معبراً عن ذاته..

(يارب ما تكون سمعت حاجة)..كان هذا رجائي..بل كل أملي فى هذه اللحظات...

و لا أعلم حتى الآن هل سمعتني أم لا...

كان هذا أحد المواقف الذى طالما حكيته لأصدقائي و لزملائي.. و حتى لأولادي و زوجتي.. و ضحكنا كثيراً كلما ذكرناه...

(ليه يازمان ما سبتناش أبريا....و واخدنا ليه لطريق مامنوش رجوع..)

المنطق

ذات مساء...

جلست أرتشف تلك القطرات... الملتصقة بقاع فنجان القهوة... رفعت الفنجان عالياً و رفعت رأسي ... و بعد فترة طويلة تسربت قطرة من السائل السحري إلى مؤخرة لساني ... احتفظت بها قدر ما استطعت.... تسربت إلى دمائي... و بدأت أفكاري تلمع من جديد أيعقل هذا؟؟ أمن المنطق أن نرفع رؤسنا عالياً لنحصل على ما يستقر في القاع ؟؟؟ أهو الخطأ فينا أم في طبيعة الأشياء ؟؟ أم أن لكل شيء منطق خاص و لا توجد قمة خالصة أو قاع خالص.. أين الحقيقة؟؟

آه .. تذكرت.

. لا توجد أيضا حقيقة خالصة

فنجان شاى

عندما تكون سعادتك في احتضان كوب من الشاي الدافئ بكلتا يديك وسط غرفتك المظلمة ليلة شتاء بارد.. تراقب التلفاز و هو يومض بأشخاص و أحداث غير مدرك من هم و ما هي..و قد أمسوا مثل سنوات حياتك السابقة لا تتذكر منها غير الوميض تبتسم ابتسامة باهتة لحلو ذكرياتها و تطلق آه سخرية من مرها.....

تتمني أن تستمر تلك اللحظات للأبد...و ألا يفرغ فنجانك من ذلك السائل الأحمر السحري...و ألا تفرغ مشاعرك من تلك السكينة و راحة البال و عدم الاكتراث بتلك الرحلة الزائلة...

إبحثوا عن سعادتكم في كل زمان و مكان..قبل أن يفرغ فنجان الشاي و تفقد قلوبكم قدرتها حتى على الفرح...

أخطر من الكورونا

الثقة بالنفس من وجهة نظري المتواضعة...هي المفتاح السحري للسعادة و النجاح في العمل و الحب....و قد يفسرها بعض ضعاف العقول و القلوب غروراً... و هي أبعد ما يكون عن ذلك... بل هي أقرب للتواضع.. و تمنح الإنسان القدرة على التواصل بشكل فعال مع الناس جميعا.... مع اختلاف ميولهم و قدراتهم الفكرية و الثقافية...لكن المشكلة الكبرى و التى تواجه الإنسان الواثق من نفسه..هي عندما يضطر للتعامل مع بعض الأشخاص و الذين على النقيض تماماً.. يملكون إحساساً كاذباً بالقوة و السيطرة على النفس.. و تراهم لا يملأون الدنيا إلا نحيباً و عويلاً عندما لا ينالون مرادهم فى أمر ما.. و يبدأون فى اختلاق المبررات و الذرائع لفشلهم فى عمل أو علاقة ما....و كأن الناس جميعاً و الدنيا بأسرها تقف لهم بالمرصاد و تتعمد إغراقهم في بحور اليأس.... و يتلذذون بكونهم ضحية لشرور البشر... و يدمنون البكاء و النحيب... ثم لا يلبثوا أن يتوقفوا قليلاً ليصرخوا بأنهم أقوياء و لا تعنيهم التجارب المخيبة للآمال...لتراهم بعد فترة وجيزة لا يستطيعون مقاومة النحيب و العويل على ما منعهم الدهر من آمالهم و أحلامهم....إنهم نتاج مشوه لماض عصيب و حاضر كئيب و مستقبل غير مأمول... و هذا النوع من الناس ما إن تقترب منه حتى تحس دائماً بالحيرة و الإرتباك في فهم نواياه و ردود أفعاله فهو يستتر دائماً داخل قوقعته و التى يخشى أن يخرج منها إلا بين الحين و الآخر ليلتمس من واقع الحياة حوله خيوطاً ينسج بها أحلامه و أوهامه...فابتعدوا سريعاً عن مثل هؤلاء الأشخاص حيث أن لهم قدرة هائلة على نشر عدوى الاكتئاب و اليأس في من حولهم بصورة تراجيدية و لكنها لا تخلو من فكاهة و سخرية لمن يراقبها من بعيد .....

كوميديا بالعامية

عزيزة

نهار خارجى..وقت العصرية

إحدى قرى الريف بالمنوفية..

--يا سى الدكتور... يا سى الدكتور

--فيه يه ياواد يا أبوسريع..جاك خابط ف نافوخك مالك كده عامل زيطه و زمبليطة

--ابعد عن وشى الساعادى يا شاويش مغاورى...أنا عفاريت الدنيا بتتنطط فى وشى يا سى الدكتور... يا سى الدكتور

---أما صحيح واد قليل الربايه..طب لما تقع فى إيدي..يمين بالله لأربطك مكان الجحش اللى فى الساقيه دهو...

--الله يسامحك يا مغاورى..ليك ريس يترد عليه

--مغاورى حاف كده يا ابن باتعه الدلاله..كان يوم إسود ملهوش سمس لما عرفناك إنت وأمك...غور اجرى.. الدكتور عندك أهو عند التوتة القبلية

--ماكان م الأول يا بقف لازم يعنى أمرمط بكرامتك الأرض عشان ....ترد..

--بقف؟؟؟؟ يا ابن البقف... و الله مانا سايبك...خد هنا ياله ..بتجرى يا جبان..أما شغل مجاذيب صحيح..

--يا سى الدكتور..الحقنى يا سى الدكتور

فيهإايه يا ابن الكلب يا بلغه..أستغفر الله العظيم..طيرت الحجر من دماغى...خد يا واد يا ابو سريع... أنا هنا يا جاموسه من غير قرون..أستغفر الله العظيم..أنا هنا يا له.. ورا التوته.

--لامؤاخذه يادكتره.. خد راحتك .. ما اعرفش إنك بتعمل زى الناس هنا..البقف مغاورى ما قليش.

--زى الناس ايه يا بهيم..استغفر الله العظيم.. تعال يا له..أنا قاعد باحشش أهو وزى الفل...

--حبيبي يا دكتره يا كبير يا ابو دماغ متكلفه.. ماتجيب نفس ينوبك ثواب..

--جاك قطع نفسك يا عويل..خلص اطرش الكلمتين اللى جاى تقولهم ما توجعش دماغى انا هالاقيها منك و لا من الحجر المضروب..

--الله يسامحك يا دكتره مقبوله منك.. ما انت حبيبنا و ابن عمدتنا حامينا و تاج راسنا..

--قلتلك خلص يا ابن ال.... ..أستغفر الله العظيم..عاوز إيه فى ساعتك السوده دى...مانت مابتجيبش خبر يسر أبدا..كل أخبارك شوم زى وشك كده... أستغفر الله العظيم

--ماشى يا ابو اسماعين يا عسليه ..بس و الله لو تعرف انا جايلك فى إيه هتبوسنى من هنا و من هنا و مش بعيد تدينى نفس كمان..نفس إيه،، مش بعيد تدينى الجوزه كلها

--و حياة أمك...الجوزه مره واحده..دا أنا شاريها بالشيء الفلاني م البندر من الحاج نصر شخصيا..عارف الحاج نصر ياوله... و تعرفه منين أنت آخرك تجرى ورا الكلاب و

الكلاب تجرى وراك و إن كان ع البوس.. نقبك طلع على شونه... أنا و الحمد الله بطلت البوس ده من زمان ...من ساعة ما اتجوزت ستك الحاجه. الله يكرمها ...سدت نفسي!!!!

--طب خد عندك دى بقى....عزيزة بتولد إيه رأيك بقى؟؟؟؟

--عزيزه مين يا متخلف...؟؟؟ قالولك عليا دايه..ثم ماتولد و لا تروح في داهيه...الاهى يجيلها عقم و هى بتولد...غور ياله من هنا...

--عزيزة يا عمدة ..عزيييييزه!!

--تكونش قصدك عزيزة.....!!

--هي يا سكرة هي..يا حلاوه يا ولاد..يلا يا دكترة... الكفر كله ملموم و مستنيك..و عزيزة شكلها كده حالفة ماحد مولدها غيرك.

--ناولى البلغه بسرعه ياله....يا منتا كريم يارب..جايلك يا نوبل...

--نوفل مين ياباشا بقولك ..عزيزة... عزيزة.

--بس يا جاهل إيش خششك أنت فى الشغل الكبير ده...و الله أنا خساره فى أمثالكم يا شوية بقر...

--شي يا حماري.. حا يا حماري..ألبى عليك من طول مشواري..

--سوق و أنت ساكت يا زفت...دا حتى صوتك يجيب الفال الشوم..جبت العدة معاك؟

--أمال يا حبيبنا هو أنا تفوتنى الحاجات دى..طب دا الكفر كله بيحلف بذكاوتى و بلوغى..

--هههههههه بلوغى يا عديم البلوغ...اسمها نبوغى يا عبيط...طب دا الحمار اللى راكبينه ده بيفهم و الله اكتر منك...

--الله يسامحك يا دكتره...كله يهون عشان عيون عزيزة ربنا ينتعها بالسلامة يا رب...بس إوعى تنسى وعدك لو ربنا حقق المراد...تدبح عشر تجواز بط و تفرقهم ع الكفر كله... وما تنسانيش فى القوانص..أموت أنا فى القوانص..

--ماشى يا ابو سريع..بس شد حيلك لأن قناصتى أنا بدات تنقح عليا من كلامك الفارغ..

--شى يا حماري حا يا حماري

--طاااخ

--آآى ...ليه كده بس يا باشا..لامؤاخذة أصل مستأسر بالغنيوة دي أوي... ع العموم وصلنا خلاص..وسع يا جحش منك ليه الدكتوور وصاااال...

--لوووووووولى...لووووووووووى.....لووووووووووى

--ايدك يا دكتور نبوسها..يجعل أدمك أدم السعد يارب..

--ميرسى يا حاجه لواحظ...سيبونى بقى عشان أشخص الحالة مظبوط.

--سخص يا دكتور سخص...و إن ما كنتش سعادتك تسخص مين يعنى اللي هيسخص...و لا يعنى مين اللي هيسخص!!!!!!

-- لوووووووولى.....لووووووووووولى.....لووووووووولى

--بسم الله ما شاء الله داخلته تفتح النفس و تخفف العيان..فاكره يا بت يا نحمده لما سخص حاله محروس إن عنده جيب فى مناخيره مسدود....و قعد يسلك فيه طول النهار يا كبدي...كات أول مرة حد يسمع إن المناخير فيها جيوب..العلام حلو برضه..خدتي بالك و هو بيقولي مكسير يا ست لواحظ..بيتكلم إنجليزى لبلب ربنا يحرسه..عقبال ما شوف الواد عويضه الأهطل زيه كدا يارب...

--ناولنى السماعه بسرعه ياواد يا ابو سريع...و جهزلى الجوانتى و المطهر..

امممممممم...واضح إن عزيزة على وشك الولاده

--اسم الله عليك يا باشا....دا نص العجل بره أهو....

--و الله عال ماتيجى انت تشخص مكانى و أروح أنا ألم جلة و خلاص...روح يا بقف هات الازازه اللى هناك دي.

--إتفضل يا باشا إزازه العسل الأسمر تمام التمام.

عسل أسمر يا بغل...بقالك سنه شغال معايا و مش عارف العسل الأسمر م البيتاديم

أما حيوان صحيح...عارف ياوله انت هتخش التاريخ.. بعدى طبعا..عارف ليه ولا لأ؟؟؟؟

--طبعا يا باشا...بس ليه؟؟؟؟

--حمااار.....

فاكر التور اللى جبناه عامنول. ..التور ابو راسين...ياله.

--ايوه يا باشا...دا كان شكله عجيب أوى سبحان الله.. ماله يا باشا؟؟؟

--التور ابو راسين ده بقى خلينا يختلى بعزيزة خلوة لامؤاخذه شرعية..وماخترناش أي جاموسة و خلاص كده عشوائي ...لا ..دا أنا لفيت المديريه شبر شبر لحد ما لقيت جاموسة تملا العين....أمال إيه يا دغف..هو البحث العلمى بالساهل كده..و لا جايزه نوبل بيدوها لأي حد..لازم تعب و شغل كتير..

-لامؤاخذه يا باشا أنا سمعتك بتقول نوفل دي كذا مرة و اتكسفت أسألك عنه لتقول عليا جاهل..

--لا ماتخافش يا ابو سريع ....مالكش حق.. إسأل براحتك... أنت بنوبل أو من غيره أجهل من أبو جهل شخصيا...

نوبل ده راجل عمل جايزه بيديها لأي حد يعمل حاجة ما حدش عملها قبله و كمان بيحط اسمه و صورته و رقم تليفونه فى كتاب جينيس عشان لو حد عاوز يتصل بيه و يباركله و لا حاجه..عرفت يا دغف..

--الله ينور على دماغك يا كبيرنا و الله الكفر كله ليخش التاريخ على حسك..بس اللى مش فاهمه بقى إزاي لما عزيزة تولد نروح لنوفل ده..هو يعرفها؟؟؟؟؟

--آه..تبقى بنت خالته....

أروح فين بس منك؟؟؟؟ أموت نفسى؟؟؟؟. و بدل ما أروح نوبل أروح القرافه...

يا بنى آدم.. إفهم..التور اأو راسين لما لا مؤاخذه الجاموسة دى أم راس واحد يبقى العجل- يا عجل- يطلع شكله إيه؟؟؟

--يطلع بتلات روس يا باشا..

--والله عال ..إنت بتقرا أبحاثى من ورايا ...ليلتك سوده...

طاااااخ..

--و الله يا باشا ما قريت حاجه هو أنا أصلا بأفك الخط..

--طب بس لما أفضالك...يلا ياله شد معايا ..شد ...العجل هيفطس....

لوووووووووولى لوووووووووولى

--قول للولية اللى برا دى تخرس... بدل ما أطلع أنسل البلغة على راسها.

--ليه يا دكتره دول فرحانين إن العجل نزل بالسلامة..

--إنت مش ملاحظ يا حيوان إن العجل فيه حاجة مش طبيعية؟؟؟؟؟

--حاجه إيه يا باشا..أنا شايفه بسم الله ما شاء الله بدر منور

--إلاهى تنور بحريقة يارب...العجل براس واحدة بس..نوبل ضاعت يا سخام

--طب ما تمد إيدك كده جوه يا باشا يمكن تلاقى راس هنا ولا هنا.

--ياسلام و أنا يعنى مستنيك تقولى...أنا دورت كويس مفيش حاجة..

--رايح فين ياباشا...طب هتوزع البط إمتى.؟؟.. دا الكفر كله كان مستنى اليوم ده..على أجر من الحمر..

جاتك نيله فيك و في الكفر كله... ناس فقر مالهاش فى الطيب نصيب..أكيد نوبل قرف يجي ناحيتكم يا شوية بهايم يا معفنين...

أستغفر الله العظيم يارب .

الفهرس

المقدمة..... ٧

البردية المفقودة..... ٩

التلة..... ١٣

منصوره..... ١٦

نواعم..... ١٩

اليوم انتصرت لها..... ٢٩

أحلام..... ٣٧

أحلام /الجزء الأول(لم اعد احبك) ٣٨

أحلام /الجزء الثاني(اللقاء الأول) ٤١

أحلام/الجزء الثالث(المواجهة) ٤٧

أحلام/الجزء الرابع(حبيبتي من تكون) ٥٢

الجميلة و الهستولوجي..... ٥٩

الجميلة و الهستولوجي (المشهد الأول) ٦٠

الجميلة و الهستولوجي (المشهد الثاني) ٦١

المنطق..... ٦٤

فنجان شاي..... ٦٦

كوميديا بالعامية (عزيزة) ٧٠

مع تحيات ..... حسام.....منى.....إسراء